

صيام أهل البيت
المسورة
السيد

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم



Abul Azayem
www.abulazayem.com



صيام أهل المدينة المنورة

الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

مقدمة

الحمد لله فرض الصيام ليجمع الصائمين بجمال عمار ملكوته الأعلى، ويرفعهم على ملائكته المقربين بجهادهم أنفسهم قهراً لها على ترك ما لا غنى لها عنه من طعام وشراب نهاراً، ومن نوم وراحة ليلاً، ففرض سبحانه علينا صيام النهار، وسن لنا ﷺ قيام الليل.

والصلاة والسلام على من أكمل الله به دينه الذي به نيل السعادتين، وأتم علينا به ﷺ نعمته التي بها كمال النفس بمعرفة الله وعلم أيامه وأحكامه، وحكمة أحكامه، وكمال الجسم بما بينه لنا ﷺ بعمله وقوله وحاله من أنواع العبادات والقربات، ومكارم الأخلاق وجمال المعاملات، حتى أصبح المسلمون وهم في هياكلهم الإنسانية وعلى وجه الأرض كلهم ملائكة مقربون، بما تجملوا به من العمل لنيل محاب الله ومراضيه سبحانه، ورضوان الله تعالى يغشى رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقاموا لربهم ونبئهم بما نالوا به فضله سبحانه، ورضوانه الأكبر من أفراد الصحابة وأبدال السلف وأئمة الخلف، خصوصاً العاملين منهم في هذا الزمان الذي صارت فيه الفتن كقطع الليل المظلم، وهم على ما كان عليه السلف الصالح كالأنجم المضيئة في ظلمة الليل الحالك، لا تشغلهم زينة الحياة الدنيا ولا تنسيهم محنها ذكر الآخرة والعمل لها.

وبعد،

فيقول خويدم الفقراء محمد ماضى أبو العزائم: إن الواجب المقدس على كل المعاصرين لي وخصوصاً لمن عرفتهم من أحبابي في الله المسارعين للعمل بما كان عليه سلفنا الصالح، ألزمني أن أحب لهم ما أحبه لنفسى، في أوقات فرض الله علينا عمارتها بالصيام والقيام فيها له سبحانه بنوافل البر، وكان شهر رمضان المعظم خير شهور السنة لأن الله فرض صيامه وسن رسول الله ﷺ لنا قيامه، وبين لنا بقوله فضله، وبعمله الشريف قدره، فكتبت لنفسى

ولإخوتي المسلمين جميعاً، ما أحب أن أقوم به بتوفيق الله وحسن عنايته، لنفوز بمعية رسول
الله ﷺ، وجوار الأحبة في فردوس الله الأعلى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ الشعراء ٨٨ و ٨٩.



الباب الأول

الصيام

من معاني الصيام

الصيام جهاد الجسم وسياحة العقل ومشاهدة الروح، ومن صام بتلك الحقائق فقد نفذ من أقطار السموات والأرض بسُلطان الحق، ومن صام صيام أهل العادة فترك الأكل والشرب وملامسة النساء، ولم يجاهد جسمه ولم يسح بعقله ولم يشهد بروحه، فليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ولا من قيامه إلا العناء والسهر.

والصيام التجرد من الإنسانية بعد التجرد من الحيوانية وكيف لا يكون كذلك والله تعالى يقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم ٨٨، لأن الصيام خروج عن مرتبة الإنسانية للاتحاد بالمكانة الملكوتية، فالصائم لا يتكلم مع الإنسان مع أنه مجانسه ومشاكله، قال سبحانه: ﴿قَالَ آيَاتُكَ أَلا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ مريم ١٠، فنفت الآية الأولى كلام الأناسى وأثبتت الكلام مع الملائكة، وفي الآية الثانية نفت كلام الأناسى وأثبتت الكلام مع الملائكة، وذلك لأن الحقائق الحيوانية أمسكت عما تقتضيه المجانسة مجاهدة لتفوز بالمشاهدة، رزقنا الله الصيام الذي به نجانس العالم الأعلى، إنه مجيب الدعاء رب العالمين.

والصيام تجريد مما يناسب الإنسانية، وتخلية عما يناسب الملكية، واتصال بعالم اللاهوت في صورة الناسوت وهو العجب العجاب.

والصيام ترك ما تحب مسارعة إلى ما يحب سبحانه، وخروج من سور الحيلة والتحديد وبعث الشهوة والتجديد، بل ولوازم الحياة الإنسانية تشبهاً بأخلاق رب البرية.

* * *

الصائمون

الصائمون أربعة أنواع

تارك لشهوته، وتارك لرغبته، وتارك لوجوده، وتارك لشهوده، فالسالك يصوم بترك شهواته، والواصل يصوم بترك رغباته من كرامة وولاية وشهرة وحظ عاجل وأجل، والتمكن يصوم مشاهداً أكمل مشاهد التوحيد فيرى الصيام بالله والله ومن الله، فيفنى عن شهود عمله فإذا لحظه استغفر، والمتحد يترك في صيامه شهود تلك المعانى وهو وارث مقام ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الانعام ٩١، وهذا هو صيام ورثة رسول الله ﷺ، ولأبداله من الصديقين والشهداء شميم من هذا العبير، وفي هذا المقام صيام أهل (لا حول ولا قوة إلا بالله) وهناك صيام فوق ذلك لمن ذاق حلاوة التنزل للماء المهين - فخذ بذوقك - الذى صورك هو الذى وفقك، والذى جملك بمعانى الصفات هو الذى أقامك، فمن أنت إذا تحققت.

والصيام سر من أسرار الصمدية فاحفظ السر عن غير أهله، منحني الله وإياك صيام أهل الاتحاد إنه مجيب الدعاء.

صوم رمضان

الصيام فريضة على كل مسلم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٨٣ و١٨٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أى يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أى فرض، والصيام لغة مصدر صام وهو الترك، والصيام شرعاً هو الإمساك، ومن تدبر الصوم فعلم أن الله تعالى حرم علينا في الصوم ما أباحه لنا في الفطر، الأمر الذى يقتضى ما حرمه

علينا في الفطر من صغيرة وكبيرة، فقول الفقهاء: الإمساك عن شهوتى البطن والفرج، يقتضى حبس جميع الجوارح عن الاستطالة فيما أباحه الله تعالى من الضروريات، فلا يسمع ما يكره سماعه شرعاً، ولا يتكلم ولا يشم ولا يمس إلا بقدر الضرورة، مع مراقبة أنفاس الصوم واستحضار أنه صائم، ومن أمسك عن شهوتى البطن والفرج وتوسع بالجوارح فيما أباحه الله أو تعدى حدود الله تعالى فقد انتهك حرمة الصوم، وفاته من أجر الصيام بقدر ما أفرط به من جوارحه، وهذا هو الصيام شرعاً.

﴿كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ووجه الشبه جائز أن يكون في حكم الفرضية فقط، وجائز أن يكون فيها وفي تعيين الزمان والعمل، فإن كان الأول فيكون تعيين زمان صيامنا وبيان مقداره في كل يوم خاصاً بنا، وهذا ما يظهر بدليل قوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وبما ورد أن الصيام كان أول فرضه ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ﴾ البقرة ١٨٥، وبدليل الفدية التى جعلها الله رحمة بنا في أول عهدنا بالصيام بعد أن أباح للمريض والمسافر القضاء في هذه الآية، ثم نسخ هذا الحكم بآية قوله تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ﴾ البقرة ١٨٥، وذكر المريض والمسافر أيضاً بياناً للناسخ والمنسوخ، وإن كان الحكم الثانى، وهو أن وجه الشبه المطابقة في كل معانى الصيام، يكون الذى فرض علينا هو ما فرض على الذين من قبلنا وهو شهر رمضان، وكان الصائم يترك الأكل والنكاح من صلاة العشاء إلى صلاة العشاء، حتى خفف الله عنا بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ البقرة ١٨٧، وبقوله سبحانه: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ البقرة ١٨٧ إلى آخر الآية. وقد ورد هذان التأويلان عن أفراد من الصحابة.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أى تتقون من الوقوع في المفطرات فتنالوا بتقواكم رضوان الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ منصوبة على الظرفية بنزع الخافض أو أنها مفعول به لفعل محذوف تقديره أن تصوموا أياماً معدودات، وتأولها عطاء أنها صيام ثلاثة من كل شهر بحجة

أن الشهر لا يقال له أياماً معدودات، وقال بعضهم أن الأيام المعدودات هي شهر رمضان وأن الثلاثة الأيام التي كان يصومها ﷺ قبل نزول الآية كانت تطوعاً، وهذا هو الأولى لسياق الآية، لأنه لم يرد نص صريح ولا برهان على أن الله فرض علينا أولاً صيام ثلاثة أيام وعليه عمل الأمة سلفاً وخلفاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يبين الله لنا أن المريض الذي لا يقوى على الصيام خوفاً من تأخير براء أو زيادة مرض، فالحكم أنه يفطر ويقضى عدة الأيام التي أفطرها بعد شفائه، وأن المسافر الذي لا يقوى على مشقة السفر يفطر ويقضى عدد الأيام التي أفطرها، ملاحظاً حرمة الشهر في بقية الجوارح، حتى يكون من أهل التقوى الصائمين بكل الجوارح إلا البطن.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ رفع الله تعالى عن المريض وعن المسافر مشقة الصوم رحمة بهما، وخفف عن امتحنهم بفرض الصيام فرخص لهم في الفدية عن الصيام حتى نسخ هذا الحكم بالآية التالية. وجائز أن يكون طاق يطيق قام به بسهولة، وأطاق يطيق كعسر عليه أو صعب كالشيخ الهرم وكالمرأة الحامل والمرضع، إن طال حملها ورضاعها وظهر ضعفها، أو كمن لا يجد محلة يأوى إليها عند فطره وسحوره حتى يجد، فإن وجد صام بقية الشهر وقضى عدد الأيام التي أفطرها، ويكون حكم هذه الآية لم ينسخ بالنسبة لمن ذكرناهم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ الفدية هي ما يفديه المفطر، بدلاً عن صومه للمسكين طاعة لحكم الله تعالى، والفدية هي صاع من بر أو شعير أو طعام، ولفظة فدية مرفوعة على أنها خبر لمبتدأ ملحوظ أي فحكمه فدية، أو مبتدأ لخبر محذوف تقديره فعليه فدية ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ والتطوع هو نوافل البر، والمعنى أن الله يرغبنا في عمل الخير في رمضان، بأن من أطعم مسكينين عن اليوم أو أكثر كان ذلك تطوعاً منه مقبولاً، وقد بشر المتطوعين أن التطوع خير لهم عند الله ووعد الله العبد بخير لا تعلم نفس قدره.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يبين الله لنا العمل الأفضل

لديه بعد أن رخص للمريض والمسافر في الفطر وكلفها بالقضاء، لأن القضاء يسقط العقوبة، ثم رغبتنا في الأفضل فقال، وصيام المريض والمسافر خير له، لينال فضل صيام رمضان في رمضان ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى تعلمون خير الخيرين فتسارعون إليه وهو الصيام.

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة ١٨٥.

عين الله لنا زمان فريضة الصوم بعد أن قال سبحانه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، فشهد رمضان بدل من الصيام في قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، ولك أن تقول أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ لخبر محذوف ومعنى ﴿شَهْرٌ﴾ الشهرة لأن الشهر مواقيت لمصالح الناس وقضاء حوائجهم، ومعنى ﴿رَمَضَانَ﴾ مأخوذ من الرمضاء التى ترمض فيه الفصال من حرارة الصيف، وسُمِّيَ بهذا الاسم لأنه جاء في زمن الصيف حال التسمية، وجائز أن تقول: ترمض فيه معاصي العباد أى تزول بالصيام، ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أى الموصوف بإنزال القرآن.

ومعلوم أن القرآن أنزل نجومًا متفرقة، فكيف يصح أن يكون أنزل في رمضان؟! والجواب أن القرآن نسخته السفارة الكرام من أم الكتاب ليلة النصف من شعبان إلى ليلة الرابع والعشرين من شهر رمضان، وأنزل إلى سماء الدنيا في الليلة الخامسة والعشرين منه، وجائز أن يفتح الله إنزال بعضه في رمضان فيكون كإنزال الكل ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أى بياناً لما فيه سعادة العالم في دينهم وأخراهم وفي مصالحهم الدنيوية ﴿وَيَبِّئْتِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ أى مبينة للحقائق التى بها تزكية النفوس، وتثقيف العقول، وعمارة القلوب بالغيب المصون، الذى ترتسم أسراره على جواهر النفوس، وهذا معنى ﴿مِّنَ الْهُدَىٰ﴾.

وقوله: ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ أى الآيات الفارقة بين الحق والباطل فيما يتعلق بالأخلاق والآداب الاجتماعية المنزلية، وبالمجتمعات فى المدن وبالمجتمع العام الإسلامى، وما يتعلق بتلك من أحكام فى المعاملات التى تقتضى المعارضات والمفاوضات، وقد ينتج منها المعارضات فبهذا

الفرقان يظهر العدل والميزان. فهذا الكتاب الذى أنزله الله على نبيه ﷺ جامع لما يلزم الفرد والمجتمع من عقائد التوحيد ومن عبادة الله تعالى ومن أخلاق ومعاملات، من أول وضع النطفة فى رحم الأم إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال على عليه السلام: (لوضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله).

وإنما سعد سلف الأمة بالعمل بما أنزله الله على نبيه ﷺ وما ذل من ذل من الخلف حتى تمكن منهم من كانوا بالأمس عبيداً يباعون فى أسواقهم من بنى الأصفر إلا بمخالفة هذا الكتاب المجيد، قال أبو هريرة رضى الله عنه: (إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أى من أدركه الشهر وهو بين أهله فالحكم صيامه، وقد تعينت فرضية صوم رمضان بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، وبقوله تعالى: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ وفى تلك الآية إشارة روحانية وهى أن تلقى هذا الكتاب المجيد لا يكون إلا بالروح المجردة من ملابسة مقتضيات الهيكل الإنسانى، وإنما تحجب الروح بميل هذا الهيكل إلى لوازمه الضرورية والكمالية، وحرصها على تحصيلها وبذلك تحجب الروح عن مكاشفة الغيوب، بشغل الجوارح فيما يدعو إليه الجسم، فأمرنا الله بصوم الشهر الذى أنزل فيه الكتاب، لأن الصيام رياضة تصفو بها النفس فتتلقى أسرار القدس، لأن تلك الأسرار العلية لا تجانس المادة ولوازمها، ففرض الله علينا تزكية النفس بالصيام لتتأهل لقبول تلك الأسرار، ومن هذا نعلم أن السالك إلى الله تعالى يجب أن يجعل له رياضة خاصة بجهد قاهر يكبح به جماح النفس، من الطمع فى غير مطمع مما أباحه الله تعالى لنا مما يقوى به الدم، وتنفتح له العروق ويجعل الإنسان كالسبع الضارى لا يتسلى عن مألوفه، وقد عين الله تعالى زمن الصيام محدوداً بعد أن أخبر عنه فى الآية السابقة بأيام معدودات، ولم يرد حكم صريح يعين عددها وزمانها إلا هذه الآية.

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم تأويلها ولم تأت هذه الآية هنا تكراراً لأنها بيان وتفسير للآية السابقة فى التأويل الذى أولناه أن الآية السابقة المراد بها رمضان ولم

يذكر هنا سبحانه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ﴾ على هذا التأويل ببقائها على حكمها. وقد بينت ذلك محصوراً في الرجل الكهل والمرأة العجوز وفي المرضع والحبل كما قررنا.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ وقبل أن نكتب تأويل هذه الآية نبين سرّاً تجب رعايته، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ لفظة ﴿يُرِيدُ﴾ هنا ليست من الإرادة الواجبة الوقوع بل هي من الإرادة المحبوبة لله التي هي الأمر، فإن الإرادة قسمان: قسم واجب الوقوع وهي بمعنى قدر وقضى، وإرادة محبوبة وهي ممكنة الوقوع وهي بمعنى أمر ورغب، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ النساء ٢٨، وقال سبحانه: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ النساء ١٤٨، أى لا يأمر الله بالجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، وهنا يأمركم الله بالإفطار في حالة المرض والسفر تخفيفاً عنكم بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأنها لو كانت من الإرادات الواجبة الوقوع لم يقل تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وبهذه الآية يظهر لنا جلياً أن الله تعالى لم يكلفنا بهذه الأحكام ليشق علينا أو يكلفنا ما لا نطيع، إنما ذلك لتظهر محبتنا له وإيثارنا لأوامره العلية وإخلاصنا لذاته في معاملاتنا وعباداتنا وأقوالنا وأحوالنا.



الباب الثانى

حكم الصيام

وللصيام حكمة صحية وحكمة اجتماعية وحكمة شرعية.

حكمة الصيام الصحية

معلوم أن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وأن أكثر الأمراض سببه المعدة، ولذلك فإن الطبيب يأمر المريض بترك الأكل والشرب في كل الأمراض، والخلاق العظيم أرحم بخلقه من أنفسهم، ومن رحمته بهم أمرهم بترك الأكل والشرب وملامسة النساء نهائياً في رمضان لتقوى المعدة وتصح الجوارح ويتوفر الدم، رحمة بهم وعناية منه سبحانه، وقبل منهم هذا العمل عبادة له سبحانه ووعدهم عليه بالنعيم المقيم، فسبحان من أمرنا بما هو خير لنا وهو الغنى عنا وعن أعمالنا وأثابنا عليه بالجنة، وعبد يكرمه مولاه فيأمره بما هو صحة وعافية وخير، ثم يتفضل فيعطيه الجنة جزاء للعبد على ما هو نفع له، والعبد اللئيم يظلم نفسه فيخالف ربه فيقع في بلايا الأمراض في الدنيا وشديد العذاب يوم القيامة، أسأله سبحانه أن يعلمنا حكمة العبادة ويعيننا عليها حتى نسعد في الدنيا والآخرة.

بينت حكمة الصيام الصحية ليعلم الصائم أنه إنما يصوم لصحته وعافيته ولأن كل عضو من أعضاء الجسم يستريح عند النوم إلا المعدة والقلب، فجعل الله الصيام راحة للقلب وراحة للمعدة، لأن الصائم لا يحتاج إلى حركة تجهد المعدة للهضم ولا يتولد دم غليظ من كثرة الأكل يتعب القلب.

حكمة الصيام الاجتماعية

معلوم أن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بنفسه بجميع لوازمها كالحوانات التي لا يحتاج فرد من أنواعها إلى مساعدة غيره في جميع لوازمه، فالإنسان الواحد يحتاج إلى كثير من الأناس

والحيوانات والآلات البخارية والكهربائية في نيل ما لا بد له منه، قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ
 الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ المائدة ٢، إذا تقرر ذلك فالصيام يكسب قلب الأغنياء رحمة بالفقراء، وقلب
 الرؤساء عطفاً على العمال، وقلوب الملوك شفقة بالرعية، فيصبح المجتمع كما قال سبحانه
 وتعالى: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح ٢٩، وغنى لم يذق ألم الجوع والعطش كيف يرحم الفقراء؟ ورئيس
 لم يحس بفقد مشتبهاته خضوعاً لسلطان الشريعة، كيف يحسن إلى من ولاهم عمله؟! وملك
 لا يجاهد نفسه بالصيام كيف يعدل في رعيته ويمنح الأمة الحرية والمساواة؟ فالصيام هو
 العمل الذي يزكى النفس ويهذبها، ويجعل الإنسان يحس بأنه عبد مقهور لقهار قادر وعابد
 لمعبود قوى، لا فرق بين الغنى والفقير عنده والملك والمملوك لديه.

فإذا نحن تركنا الصيام انقلبت النفس الإنسانية فصارت نفساً إبليسية أو وحشية،
 فأفسدت المجتمع بقدر ما تطيقه من تنفيذ أغراضها لنيل شهواتها. فالمسلم تارك الصيام شر
 على الأمة شر على الوطن شر على أسرته وعلى نفسه، وأمة ترى مسلماً يفطر رمضان ولا
 تقوم في وجهه مشنعة عليه ليرتدع، فتحت على نفسها أبواب غضب الله تعالى، لأن المفطر في
 رمضان دون عذر شرعى أغضب ربه سبحانه بمخالفة أمره ونبيه ﷺ بترك التشبه به، ورجل
 يغضب ربه كيف يرضى والديه أو قومه؟ ولعل الذين بحوا حناجرهم بقولهم يحيا الوطن وهم
 يجاربون الشريعة ويعقون الوالدين ويقطعون الأرحام، ظهرت لهم نتيجة أعمالهم بتسليط
 الأعداء عليهم، ولو عملوا بأوامر دينهم وبوصايا نبيهم لجمعهم سبحانه على الحق، وأعزهم
 وأذل أعداءهم، قال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الأنفال ١٠.

فالصيام عمل يكسب الصائم رحمة وعزة واستجابة للدعاء، وبذلك يسعد المجتمع وتتحد
 الكلمة وتصبح الأمة كالأسرة يكون رئيسها والداً عطوفاً رحيماً واثقاً ببنيه، وتكون الأمة
 أبناءً برة واثقين بوالدهم، وتلك النتائج مقدماتها القيام بأحكام الشرع الحنيف.

* * *

حكمة الصيام الشرعية

معلوم شرعاً أن الإنسان هو المخلوق الوسط بين عالم الأرواح المجردة وعالم الحيوان، وهو خليفة ربه في الأرض منحه ما به يُسخر كل الأنواع التي تحيط به فهي مخلوقة له، لا فرق بين ما في السموات من الأفلاك والأفلاك والجنّة وغيرها، وما في الأرض من الجمادات والنبات والمعادن والحيوانات، وما في الأجواء من الهواء والأمطار والسحب، فالإنسان في الحقيقة ونفس الأمر له كل شيء، لأنه سبحانه خلق الأشياء وهو غنى عنها، ومن نظر بعقله في العالم أعلاه وأسفله يظهر له أنه خلق لِنفع الإنسان، وبقدر ما يناله الإنسان من العلم تكون له القدرة على تسخير جميع الكائنات، فقد يبلغ الإنسان بعقله أن يقهر كل شيء لينتفع به، وقد يبلغ بتزكية نفسه مقاماً تخدمه فيه الملائكة، ولو عَلِمَ الإنسان نفسه عِلماً مؤيداً بنور الكشف لتضاءلت في عينه أكمل مراتب الدنيا، واطمحل في نظره كل خير فيها وفر بهمة لنيل كماله الروحاني، ليفوز بالخير الحقيقي في جوار الأطهار حيث البقاء في مسرات الحياة وصفاء العيشة، آنسة روحه بما يجانسها من عالم الطهر، وعقله بما يشاكلة من جمال الآيات، وجسمه بما يطيب به من ملذات ومسرات، من غير شوب عناء أو جهاد ولا كدر انقطاع وزوال.

* * *

حكمة الصيام الأولى

اقتضته حكمة إيجاد الإنسان ممتعاً بكل الحقائق، ومعلوم أن شكر النعمة متعين على كل مُنعم عليه، ففرض الله تعالى الصيام لنشكره سبحانه على نعمته علينا بتسخيره ما في السموات لنا من الأفلاك والأفلاك والآيات والأسرار، وتسخير السحاب وتصريف الرياح، ولما كانت الملائكة التي سخرها الله لنا أرواحاً مجردة لا تأكل ولا تشرب ولا تلامس النساء، تقوم لنا بما لا غنى لنا عنه، وكذلك الأفلاك، لزمنا أن نتقرب إلى الله المنعم المتفضل علينا بترك الأكل والشرب عبادة له سبحانه، فإننا نشكره على تسخير ملائكته وأفلاكه لنا وهي أول حكمة من حكم الصيام.

الحكمة الثانية

أن الصائم يتحقق أنه عبد مملوك لله بطبعه، إذا أمره بترك ضرورياته لأن العبد لا يتصرف ولا في نفسه إلا بأمر سيده، وفي ذلك من السعادة للعبد التي من أجلها رضوان سيده عنه، وإسباغ إحسانه عليه، مما لا يمكن للأرواح أن تشهدده وهي في عالم الأشباح.

الحكمة الثالثة

أن الصائم أشبه الملائكة، فتكون لروحه ملكوتية تقتبس فيها نفسه قبساً نورانياً ملكوتياً تجمل به العقل والحس والجسم، فيلاحظ الصائم أنواراً من الحكمة العالية وأسراراً من الآيات المنبججة في نفسه وفي الآفاق، فيميل بكليته إلى الفضائل التي تجعله قريباً من ربه، متخليقاً بأخلاقه، متصفاً بصفاته من الرحمة والعطف والحنان، والإحسان والعلم والعرفان، مسارعاً إلى نيل كماله الروحاني، لينفع نفسه وأهل عصره بما يناله من هذا الخير.

الحكمة الرابعة

أن الصائم يشعر من نفسه أنه تشبه بأفضل الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، فيكون له من الفرح والبهجة وعلو الهمة ما يجعله يكره المعاصي ويتباعد عن ضرر الخلق، ويحسن إلى من أساء إليه وبذلك يعيش عزيزاً في الدنيا آنساً بمعية الأخيار يوم القيامة.

الحكمة الخامسة

هي أن الصائم بإمساكه عن لوازم الحيوانية، يقل نومه وينشط لعمارة الأوقات بالعبادة وتحصيل العلم وتلاوة القرآن، وتزهد نفسه في شهوات الحيوانات، وملاذ البشرية ومقتضيات الإبلسية، حتى يكون في نومه مُشاهداً لما تقتبسه روحه من العالم الأعلى، وفي يقظته مُراقباً ربه، وبذلك تتكشف له غيوب بما يرد على قلبه من الروح لصفائها وراحتها من عناء تدبير

الجسم الشهواني، فيكون الجسم مجانساً للروح، وفي هذا المقام يكون الإنسان أفضل من الملائكة، لأنه مجاهد والملائكة مفطورون على الخير، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١.



الباب الثالث

مراتب الصوم

١ صوم العامة

ترك الأكل والشرب وملامسة النساء، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

٢ صوم العلماء

ترك شهوتى البطن والفرج، مع حفظ الجوارح من الاستطالة، فإن الصوم إذا أطلق أريد منه الترك مطلقاً. ولكل عضو صيام بحسبه، فصيام اللسان ترك الكلام إلا في ذكر الله أو ما لا بد له منه، وصيام الأذن ترك الإصغاء إلا إلى علم أو ما لا بد منه قال سبحانه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم ٢٦.

والعلماء يمتازون عن العامة بصيام كل جوارحهم، ولكن العامة يصومون بترك شهوتى البطن والفرج، وشتان بين الصيامين.

٣ صوم العارفين بالله

وصيام العارفين بالله عمارة الأنفاس في اليقظة بمراقبة الله تعالى، وعمارتها في النوم بسياحة الروح في ملكوت الله الأعلى، لتقتبس لطائف العوارف من عالم الطهر والصفاء، وتعود إلى الهيكل الإنسانى بتحف الروحانيين من حملة العرش والمحافين حوله، لأنهم تركوا لوازم الحيوانية نهراً، فتشبهوا بالملائكة الكرام، وقاموا بين يدي مولاهم ركعاً سجداً يبتغون فضله ورضوانه، فتشبهوا بعالم الطهر من عليين وأعلى عليين، فإذا ناموا ليلاً سرت أرواحهم الطاهرة إلى فضاء هذا العالم لأنها مجانسة له. هذا مقام فوق العبارة بل فوق الإشارة، وقد ألمعت إلى غوامض هذا المقام في كتاب " معارج المقربين " و " النور المبين " وكتاب " الإسلام دين الله " .

٤ صوم المقربين

أما صيام المقربين ممن أخلصهم الله لذاته، فهو تنزيه سر الصائم عن خطور ما سوى الله عليه، لأنهم شغلوا بالمعروف عن المعرفة، وبالمعلوم عن العلم بعد تحصيل العلم والمعرفة، وأهل هذا المقام عمرهم كله رمضان، إلا أنهم في هذا الشهر المبارك يتركون ما أباحه الله لهم نهاراً، قياماً بالفرض والسنة ورعاية لواجب الوقت، الذي لا يشغلهم عنه أعظم شأن من شئون المشاهدة، فإن القيام بفرائض الله تعالى فوق كل مقام، ومن ظن أن الشهود يسقط الفرائض التي فرضها الله وقام بها رسول الله ﷺ، أوقع نفسه في مهاوى الهلكة، قال ﷺ في الحديث القدسي الطويل: (وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه) رواه

البخارى.

وأهل هذا المقام في صيام طول عمرهم ولو أكلوا وشربوا في غير رمضان نهاراً، لأنهم صاموا بست جوارح في غير رمضان، وصاموا في رمضان بثمانى جوارح، وغيرهم يصوم في رمضان بجارحتين، وربما يفطر بالجوارح الباقية، فيكون صائماً عند نفسه فقط، وإن أسقط بعلمه ما فرضه الله عليه، وطلب العلم فريضة على كل مسلم، وأول ما يسأل عنه المسلم يوم القيامة: (هل تعلمت أم لا؟).

٥ صوم المحبوبين

وهؤلاء يعلمون أن رمضان شهر الله تعالى، ونسبة هذا الشهر إليه سبحانه دليل على أنه يقرب من أوليائه فيؤنسهم فيه كما نسب إليه الكعبة فسميت بيت الله، فسارعوا إلى أن يعمروا الأنفاس بالحضور مع مولاهم، فحرصوا عليه كل الحرص، ونظروا إلى أمر الله في رمضان، فظهر لهم أنه حرم عليهم المباح في نهاره، ورغبهم في إحياء ليله بالقيام، فظهرت لهم حكمة عناية الله بهذا الشهر من التشبه بالعالم الأعلى، عالم الأرواح النورانية المجردة من العناصر السفلية، عالم اللطائف الروحانية الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

التحريم ٦، فساحوا بأرواحهم في فسيح الملكوت حضوراً أو استحضاراً وفكراً، وتجردوا عن وجودهم الباطل بالوجود الحق، وتخلقوا بأخلاق الله حلماً ورحمة ورأفة وعظفاً وكرماً وإحساناً وفضلاً، أحسنوا إلى من أساء إليهم ومن قطعهم، واستحضروا عظمة الله وجلاله، فانكسرت قلوبهم بين يديه، فكان سبحانه عندهم بما هو أهله من جمال وقرب وحب وولاية وعناية، أوحشهم أنسه عن كل أنس من سواه، وأنسهم بجماله ففروا ممن سواه وما سواه، وأقبلوا بكليتهم به سبحانه عليه، فكانوا كأنهم في ضيافة الله على بسائط مؤانسته وموائد كرامته، أرواحهم سائحة في ملكوته، وسرهم مشرف على قدس عزته وجبروته، فهم بين الناس بأجسامهم ومع الله بأرواحهم، اجتباهم لمحضرته فأفردهم له، وواجههم بجمال وجهه العلي، ففروا به إليه سبحانه، تلذذوا بما يتألم به أهل الجهالة وفرحوا بما يحزن منه أهل الغرور، تصعد أنفاسهم إلى الملكوت فتضىء عوالم عليين، يناجون الله تعالى بكلامه حتى كأنهم يسمعون منه سبحانه، ويضعون وجههم ليلاً على تراب الذل تملقاً بين يدي مولاهم، أمنيتهم أن يكون الدهر كله رمضان، وحزنهم أن يمضى نفس منهم في غير الحضور مع الملك الديان، انكشفت لهم حقيقة الدنيا والآخرة، ففارقوا ما يزول بقلوبهم وزهدته أجسامهم، وسارعوا إلى ما يبقى عليه طمعاً في شهود الوجه العلي الكريم في النعيم المقيم.

٦ صوم الصوفية

الصيام لُغَةً الصمت، والصيام عند الصوفية صولة الروح على الجوارح صولة تجعلها تجانسها مجانسة ما، فتجاهد في سبيل الاتحاد بها من حيث ما تقتضيه الروح في حقيقتها، وبكمال تلك الحقيقة تمنح الجوارح قبساً من الملكوت الأعلى تنال به الرفعة عند ردها إلى أسفل سافلين، وتلك الرفعة تتلقى من ربها كلمات الإنابة الموصلة إلى المقام الذي أكرمها ربها به في المرتبة الآدمية، إلا أن آدم أسكن في مقام الزوجية النفسانية الجنة متمتعاً بنعيمها، وهذا الصائم يكرم بدخول جنة الرضا متمتعاً بأسرارها لتجرده عن مقتضيات الجوارح المجترحة بترك ما أبيح له مما لا بد منه، والإقامة في محاب الله ومراضيه، فيكون صائماً بكل

جوارحه مع وجود المقتضى لا فقده، وهو: الجهاد الأكبر - جهاد الحس والنفس والعقل والجسم - معنى قوله ﷺ: (الصيام جنة)، وليس بصائم من ترك ما أبيح له ووقع فيما حرم عليه، وعلامة قبول الصيام تخلق الصائم بأخلاق الله أو على الأقل بأخلاق عالم الطهر الروحاني من عوالم الملكوت.

والصيام سياحة عظمى، قال تعالى: ﴿السَّابِقُونَ﴾ التوبة ١١٢، بمعنى الصائمين، والصيام صبر على خرق العادة من طبعه، وهو الذى بشره الله بمعيته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ البقرة ١٥٣، والصابرون من معناها الصائمون. فجاهد نفسك فى الصيام أن تتخلق بتلك الأخلاق مهما ضحيت بكل غالٍ ورخيص فى سبيل ذلك، لتفوز بمعية الله لك، وبقدر نزوع النفس إلى ما يخالف تلك الآداب وقهرها عليها تكون رفعتك وقربك ونيلك وحظك، ولعلك فهمت إشارتى وأنت فى فاتحة الشهر فاستعن بالله وقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.



الباب الرابع

رؤية هلال رمضان

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة ١٨٥، معنى هذه الآية من حضر في بلد وثبتت عنده رؤية الهلال شرعاً وجب عليه أن يصوم ما لم يكن لديه مانع من مرض أو حيض أو نفاس.

إثبات الرؤية

في المثل (المقصد يبرر الوسيلة)، ومن ذلك ما يقوم به الناس في آخر يوم من شعبان من الاجتماع والمرور في الشوارع بنظام حتى يصلوا إلى محل الرؤية، فيرى بعض من لا ينظرون إلى الأشياء بعين الحكمة أن هذا من البدع المضلة، التي لم يكن عليها في زمن السلف الصالح، ونعم لم تكن تعمل في زمن السلف، لأن كل مسلم في زمن السلف الصالح كان يتحرى من رجب ليثبت لديه رمضان أما الآن وقد انتشرت الفتن وحجب الهوى والحظ القلوب، فقد أصبحنا في حاجة إلى ما ينبه الناس إلى إثبات هلال رمضان، فالوسيلة وإن كانت بدعة إلا أن المقصود يبررها، وإنما الأعمال بالنيات.

ما ورد في إثبات رمضان

عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفتروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له) أخرجه الستة إلا الترمذي. وفي رواية للبخاري: (فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين). ولمسلم والنسائي عن أبي هريرة: (فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً).

* * *

الباب الخامس

ماورد في فضل رمضان وفضائل الصوم عند الأمة

ماورد في فضل رمضان

١ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي)، (للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه)، (ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

٢ وفي رواية: (الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم) أخرجه الستة.

٣ وعن سهل بن سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة باباً يُقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحداً) أخرجه الخمسة إلا أبا داود، وزاد الترمذى: (ومن دخله لا يظماً أبداً).

٤ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أفطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً).

٥ وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسُلسلت الشياطين) أخرجه الستة إلا أبا داود.

وفي أخرى للنسائي: (وينادى منادى كل ليلة يا باغى الخير هلمّ ويا باغى الشر أقصر).

ماورد في فضائل الصوم عن الأمة رضى الله عنهم

قال الإمام أبو طالب المكي رضى الله عنه في كتابه "قوت القلوب" في ذكر فضائل الصوم

ووصف الصائمين، صوم الخصوص حفظ الجوارح الست: غض البصر عن الاتساع في النظر، وصون السمع عن الإصغاء إلى محرم. أو الوزر أو القعود مع أهل الباطل، وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعنى جملة، مما إن كتب عنه كان عليه، وإن حفظ له لم يكن له، ومراعاة القلب بعكوف الهم عليه وقطع الخواطر والأفكار التي كف عن فعلها، وترك التمني الذي لا يجدى وكف اليد عن البطش إلى محرم من مكسب أو فاحشة. وحبس الرجل عن السعى فيما لم يؤمر به ولم يندب إليه من غير أعمال البر.

فمن صام تطوعاً بهذه الجوارح الست وأفطر بجارحتي الأكل والشرب والجماع، فهو عند الله من الصائمين في الفضل لأنه من الموقنين المحافظين للحدود، ومن أفطر بهذه الست أو ببعضها وصام بجارحتي البطن والفرج فما ضيع أكثر مما حفظ، فهذا مفطر عند العلماء، صائم عند نفسه.

وقد قال أبو الدرداء: أيا حبذا نوم الأكياس كيف يعيرون قيام الحمقى وصومهم، ولذرة من تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين. ومثل من صام من الأكل وأفطر بمخالفة الأمر مثل من مسح كل عضو، فصلاته مردودة عليه لجهله، ومثل من أفطر بالأكل والجماع وصام بجوارحه عن النهي مثل من غسل كل عضو مرة واحدة وصلى، فهو تارك للفضل في العدد إلا أنه مكمل للفرص بحسن العمل، فصلاته متقبلة لإحكامه للأصل وهو مفطر للسعة صائم في الفضل، ومثل من صام عن الأكل والجماع وصام بجوارحه الست عن الآثام، كمثل من غسل كل عضو ثلاثاً ثلاثاً فقد جمع الفرض وأكمل الأمر والندب، فهو من المحسنين وعند العلماء من الصائمين وهذا صوم الممدوحين في الكتاب الموصوفين بالذكرى من أولى الأبواب.

ومن فضائل الصوم أن يجتنب حظوظ الجوارح والشبهات من الأشياء ويفضل الحلال ويرفض الشهوات الداعية إلى العادات، ولا يفطر إلا على حلال متقللاً منه، فبذلك يزكو الصيام، ولا يُقبَل امرأته في صومه ولا يباشرها بظاهر جسمه، فإن ذلك إن لم يبطل صومه فإنه

ينقصه وتركه أفضل إلا لقوى متمكن مالك لإربه، وليقل نومه بالنهار ليعقل صومه بعمارة الأذكار، وليجد من جوعه وعطشه، وقد كانوا يتسحرون بالتمرتين والثلاث، وبالحببات من الزبيب والجرعة من الماء، ومنهم من كان يقضم من شعير دابته التماساً لبركة السحور، وليكثر ذكر الله تعالى وليقلل ذكر الخلق بلسانه، ويسقط الاهتمام بهم عن قلبه، فذلك أزكى لصومه ولا يجادل ولا يخاصم، وإن شُتِمَ أو ضُربَ، لم يكافئ على ذلك لأجل حرمة الصوم، ولا يهتم لعشائه قبل محل وقته، يُقال إن الصائم إذا اهتم بعشائه قبل محل وقته أو من أول النهار كتبت عليه خطيئة، ويرضى باليسير مما قسم له أن يفطر عليه، ويشكر الله تعالى كثيراً عليه. ومن فضائل الصوم التقلل من الطعام والشراب، وتعجيل الفطور وتأخير السحور، ويفطر على رطب إن كان، وإلا على تمر إن وجد فإنه بركة أو على شربة من ماء فإنه طهور.

هكذا روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يفطر على جرعة ماء أو مذقة من لبن أو تمرات قبل أن يصلي، وفي الخبر: (كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش).

قيل: هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على حرام، وقيل: هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام، ويفطر بالغيبة من لحوم الناس، وقيل: هو الذى لا يغض بصره، ولا يحفظ لسانه عن الآثام، ويقال: إن العبد إذا كذب أو اغتاب أو سعى فى معصية فى ساعة من صومه خرق صومه. وفى الحديث (الصوم جنة ما لم يخرقها بكذب أو بغيبة). وكانوا يقولون: الغيبة تفطر الصائم، وكانوا يتوضأون من أذى المسلم.

وروى عن بشر بن الحارث عن سفيان: (من اغتاب فسد صومه).

وروينا عن ليث عن مجاهد: (خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب). وروى عن جابر عن رسول الله ﷺ: (خمس يفطرن الصائم، الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذب والنظر بشهوة).

ويقال: إن من الناس من يكمل له صوم رمضان واحد فى عشر رمضانات أو فى عشرين

مثل سائر الفرائض من الصلاة والزكاة التي يجاسب عليها العبد، فإن وجدت كاملة وإلا تمت من سائر تطوعه.

وفي الخبر: (من اغتاب خرق صومه فليرقعه بالاستغفار). والمراد من الصيام مجانية الآثام لا الجوع والعطش، كما أن المراد من الأمر بالصلاة الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، كما قال رسول الله ﷺ: (من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يترك طعامه).



الباب السادس

سنن الصوم وأركانه

سنن الصوم

من سنن الصوم تعجيل الفطر وتأخير السحور، لقوله ﷺ: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)، ومن سننه السحور، لقوله ﷺ: (تسحروا فإن في السحور بركة).

ومن السنة أن يقول الصائم عند فطره: (اللهم إني لك صمت وعلى رزقك أفطرت)، وقال ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله تعالى حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

أركان الصوم

الركن الأول النية

عن حفصة رضی الله عنها: (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) أخرجه أصحاب السنن.

ومحل النية القلب ويكفي أن ينوي الإنسان صيام رمضان من أول ليلة، والقيام للسحور فيه، والمناسب أن يستحضر الصائم أنه يصوم طاعة لأمر الله وتقرباً إليه سبحانه ابتغاء نيل فضله سبحانه وتعالى.

الركن الثاني الإمساك عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس

فلا ينوى رفض الصيام في النهار، وهنا يجب عليه أن يراعى بقدر استطاعته المحافظة على جوارحه من الوقوع في مكروه أو محرم، فإن الله أمرنا في رمضان بترك المباحات لنعلم

وجوب ترك المكروهات ومن باب أولى المحرمات التي تظن أنها لا تفطر، وهى فى الحقيقة تفطر، وقد أخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ الحجرات ١٢، أن الغيبة تفطر الصائم.

ما يفطر وما لا يفطر

الذى يفطر معلوم، أما الذى لا يفطر القىء قهراً وقبله الرجل امرأته أو نومه معها فى فراش واحد، إذا كان متمكناً لا يخشى على نفسه حصول ما يفطر، أما إذا كان شاباً أو عاجزاً عن ملك نفسه، فالأولى ترك ذلك. قال ﷺ: (من ذرعه القىء فليس عليه قضاء. ومن استقاء عمداً فليقض)، وقال ﷺ: (ثلاثة لا يفطرن الصائم، الحجامة والقيء والاحتلام)، وإنما كرهت الحجامة للصائم خوفاً عليه من الضعف.

عمارة أوقات رمضان بالطاعات

الذى يترك المباح له مما هو ضرورى لحياته، الأولى له أن يترك ما لا ينفعه ولا يضره، مما تعود فى غير رمضان ليتمكن من عمارة أوقات الشهر بالقربات، فيعمل بالنهار بعد فراغه مما لا بد منه من عمل لمعاشه، بتلاوة القرآن وعلم نافع ويذكر الله تعالى بأعمال البر من الإصلاح بين الناس، ومن إدخال السرور على الفقراء، ومن إغاثة الملهوف وبر الوالدين وصلة الرحم، ويعمر الليل بالقيام والتهجد، وعمل الرغائب من مجالسة الصالحين، وزيارة المتقين وإطعام الفقراء وغشيان مجالس الذكر والعلم وتلاوة القرآن المجيد وسماعه، ومسارعة إلى حفظ قلبه لترد عليه واردات الصوم، فإنه تشبه بالملائكة الكرام ومن تشبه بقوم كان منهم.

القيام

القيام فى الشريعة، الصلاة فى النهار قبل الليل والتهجد بالصلاة فى الليل بعد النوم، والقيام فى رمضان سنة ويتأكد فى العشر الأواخر من رمضان خصوصاً فى الليالى التوترية فإنه ﷺ قام فيها.

قال ﷺ: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه).

الأوقات التي يجاب فيها الدعاء

كل أوقات رمضان مؤكدة فيها الإجابة والقبول، ولكن رسول الله ﷺ بشرنا بأن ربنا جل جلاله ينزل في آخر كل ليلة من ليالي رمضان، لإجابة السائلين وقبول توبة التائبين وللعفو والإحسان، فتعين من هذا أن آخر الليل من كل ليالي شهر رمضان مرغّب فيه، وعلى كل مقبل على الله تعالى أن يكون حاضر القلب والجسم مع الله تعالى في رمضان ليفوز بما يبتغيه من فضل الله ورضوانه الأكبر.

وخير دعاء عينه رسول الله ﷺ أن يقول: (اللهم إني أسألك العفو والعافية).

والسالك في طريق الله أعلم بحاجته، فله أن يرفعها بعد حمد الله، والثناء عليه والصلاة والسلام على أفضل رسله، فقد ورد أن هذا يحقق الإجابة والقبول وإذا دعا الداعي فالأولى أن يعمم الدعاء موقناً بالإجابة، وقد بينا في كتابنا "نيل الخيرات" الأدعية والصلوات والاستغاثات التي تناسب تلك الأوقات.



الباب السابع

الأيام المرجو فيها الخير

الأيام المرجو فيها الخير والقبول، كما ورد في الأحاديث الصحاح، خمسة في العشر الأواخر من رمضان، وهى ليلة إحدى وعشرين فالليالي الفردية إلى التسع والعشرين.

وما ورد عن أئمة الهدى، فليلة الفرقان، ويومها يوم الفرقان وهو اليوم السابع عشر، أو الثامن عشر على رواية أخرى، والأحوط أن يحى الصائم اليومين أو الليلتين، ويكثر فيها الدعاء، وهو يوم بدر، وغزوة بدر مشهورة، وما أكرم الله به رسوله ﷺ مبين في القرآن المجيد، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعَانِ﴾ الأنفال ٤١.

ويوم الجمعة وليلته من كل أسبوع، وللسالكين عناية خاصة لتلك الليالي والأيام، وهم فيها مواجهات وإحسان يواليهم به الله تعالى فيها.

* * *

ليلة القدر

عظم الله في القرآن تلك الليلة المباركة فذكرها في موضعين عظيمين:

قال تعالى: ﴿حَمْدٌ وَأَلْحَتَبِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الدخان ١-٣، وأكثر العلماء على أنها ليلة القدر، وبعض العلماء يقول: إن السفارة الكرام ابتدأوا بنسخ القرآن في الليلة الخامسة عشرة من شعبان ثم أتموا نسخه وأنزل إلى ساء الدنيا ليلة القدر في رمضان.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر ١، فعظمها الله سبحانه وتعالى بإنزال القرآن فيها، وبأنها خير من ألف شهر، وبأن الملائكة تنزل إلى الأرض للسلام على المصلين فيها، ويبين أن هذا الفضل العظيم يدوم حتى مطلع الفجر. وقد خصصت رسالة بشرح هذه

السورة المباركة، ولم يعين لنا رسول الله ﷺ وقتها إلا بحالة لا تجعل العامل يحكم أنها ليلة كذا من الشهر، ولكنه حصرها في الليالي الفردية من العشر الأواخر ليناال العامل أجر إحياء تلك الليالي، ويفوز بقيامه في ليلة القدر ضمناً.

وكان أئمة السلف يعتكفون تلك الليالي في المساجد، اقتداءً بعمل رسول الله ﷺ، وكثيراً من العمال المخلصين يرون الملائكة يعيون أرواحهم عند صفائها من لوازم الجسم، لأنهم تشبهوا بصفات العالم الأعلى من الصيام والقيام والتسبيح، ومن تلاوة القرآن والذكر، وقد يرى بعض الحاضرين في المجلس الملائكة وغيره لا يراها، لأن الرؤيا كانت يعيون الروح لا يعيون الرأس، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩.

وسواء في الأجر من رأى الملائكة ومن لم يرههم إذا وفقه الله لإحياء تلك الليلة، ورؤية الملائكة لأهل الصفا فضل يعجله الله لهم لا يقتضى نقص أجر العاملين الذين لم يروا، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر ١٠.

* * *

فضل ليلة القدر

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنزِيلُ الْمَلَكِ ﴿٤﴾ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أشار الله عز وجل إلى فضل القرآن العظيم في هذه الآية من

ثلاثة أوجه:

أولها: أنه أتى بالضمير الدال على الذات المقدسة بصيغة الجمع فقال: ﴿إِنَّا﴾ ولم يقل إنى، وقال: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ولم يقل أنزلته، ومعلوم لكل ذى عقل وروح أن ذلك للتعظيم لا للتعدد ولا يُنزل العظيم إلا العظيم.

والثانى: أنه عبر عن المنزل بالضمير في مكان الإظهار إشارة إلى أنه غنى عن البيان لشهرته وفضله وشرفه.

والثالث: أنه أنزل في ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ولم يختار لإنزاله تلك الليلة، إلا لعظم قدره وسموه. واختلف العلماء في ليلة القدر هل هى ليلة واحدة في الدهر كله أم هى متكررة في كل سنة، والحق أنها ليلة مخصوصة شرفها الله بنزول القرآن فيها كما شرف بعض الأمكنة المخصوصة وبعض الليالي، كبيت الله الحرام وبيت المقدس وليلة الجمعة وشهر رمضان، ولا يقال لماذا خص بعض المكان والزمان بالتشريف، فإن ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٥٤، كما أنه فضل بعض الأناسى على غيرهم وذلك لغير علة بل بمحض المنة والفضل، وجعلها متكررة رحمة بالأمة المحمدية، وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتذاكرون في أخبار الغابرين من الأمم، فذكر لرسول الله ﷺ أن رجلاً من بنى إسرائيل، حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، وقال: (يا رب جعلت أمتى أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً)، وحزن الصحابة لذلك لما رأوا أن الرجل يعيش منهم خمسين أو ستين سنة يضيع أكثر من ثلاثة أرباعها، فإنهم يصرفون من اليوم ثمان ساعات نوماً وساعتين بين أكل وشرب وقضاء الحاجة وسبع ساعات على الأقل في الاشتغال بالدنيا، وساعتين بين لهو ولعب، فلم يبق إلا أوقات الصلاة وليتها تخلص لهم، فإن الشيطان لا تحلو له الوسوسة في وقت ما كما تحلو في الصلاة، فيشتغل قلب المصلى بالدنيا والخوف من الناس وحب الشهوات والملذات والنساء، حتى إذا قال الله أكبر، قالت الملائكة: كذبت فإن النقود في قلبك أكبر من الله أو النساء أو الأملاك أو الجنة أو مقعد الصدق. إذا كان مشغلاً بها أو بغيرها، فحزن لذلك رسول الله ﷺ فأذهب الله

حزنه لأنه هو الذى كرمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ الضحى ٥، فنزل جبريل وقال له: إن الله يبشرك بليلة هى خير من ألف شهر، صرفها صاحبها فى جهاد فى سبيله، ليس فيها ليلة القدر، فسر رسول الله ﷺ، إذ هى خصوصية للأمة المحمدية.

فصار الرجل إذا تساهل فى السنة كلها، ثم جاء رمضان فصام وقام ليلة القدر بصلاة العشاء فى جماعة، والفجر فى جماعة، كتب له فى هذه الليلة ثواب ألف شهر من الأمم الماضية، صرفت فى الطاعات، فإذا عاش خمسين سنة فكأنما عبد الله أكثر من أربعة آلاف سنة.

ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ خرج ليخبر الناس بليلة القدر، فتلاحى رجلان فرفعت، وأمرهم بالتماسها فى العشر الأواخر من رمضان فإنها أخفيت فيها، ليقوم الناس العشر ليالى ليعظم أجرهم، وقال رسول الله ﷺ: (وعسى أن يكون خيراً لكم)، ومن ذلك الدعاء فيها مستجاب وتعيينها مضرة، فقد يدعو الرجل على عدوه فيها فيستجاب له، وكم تفضل الله بنعمه على عباد خفيت عليهم فى الدنيا وينالون أجرهم يوم القيامة، كما ستر أكثر خيرات ليلة القدر لأنه جعل فيها من الأسرار ما لا يكشف به إلا عباده الذين زكى نفوسهم وجملها حتى صارت بيتاً للرب عز وجل واصطفاهم، وإن كان كاشف الناس ببعض أسرارها كنزول الملائكة والروح وكونها أمن وسلام، وأخفى أسراراً كثيرة أودعها قلوب أخصائه من طريق الإلهام، فيتجلى فيها عليهم ويرفع الحجب والأستار ويشهدهم أنواره ووجهه الجميل، مما لا تحوم حول حماه العقول ولا الأوهام، وترتد بالحيرة عن سور أنواره البصائر والأبصار. وإن فى إخفاء تلك الأسرار من الحكم ما لا يحصى له مقدار، وكم وهب الله هبة حجبها عن أناس حتى إذا كشف الحجاب يوم القيامة لشهدوا عظم رحمة الله بهم ونعمائه من حيث لا يشعرون.

والقدر: بمعنى التقدير لما يبرز من العلم القديم، ولك أن تعبر عن القدر بمدلوله وهو العظمة والعلو، ولك أن تقول القدر هو الضيق كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَدَأَ فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾

رِزْقَهُ ﴿ الفجر ١٦ ﴾، والضيق هنا لنزول الملائكة بكثرة، فتضيق الأرض بهم فإنها بالنسبة إلى الشمس جزء من مليون تقريباً، فما بالك بالسموات السبع وما فيهن من الملائكة.

ولا ينزلون دفعة واحدة ولكن طوائف طوائف كما أن العالم الإسلامي من الحجاج يطوف كله بالبيت طائفة بعد طائفة ولو أرادوا الطواف جميعاً مرة واحدة لما وسعهم البيت.

* * *

حكمة نزول الملائكة

أولاً تشریفهم بالمؤمنين.

ثانياً تشریفهم بالمؤمنين.

وتفصيل هذا أن الله خلق الإنسان جامعاً لكل حقائق العوالم، ففيه الجماد لأنه مخلوق من الطين، وفيه النبات لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ نوح ١٧، فهو كالشجرة يمشى على الأرض إلا أنها شجرة الله فالرأس جذع والعنق ساقها، والذراعان والفتخان أفرعها، وأصابع اليدين والرجلين أغصانها. والإنسان حيوان من حيث الطعام والشراب والجماع والأخلاق البهيمية، ومن الناس من إذا غضب رفس كالحمار أو ضرب برأسه كالعجل أو بطش بيده كالأسد أو بصق كالثعبان، حتى إن من الناس من إذا اشتد غضبه وبصق فوصل إلى العين أعماها وإلى الفم قتل، وذلك لتسمم ريقه من شدة الغضب.

وفي الإنسان النفس الملكية التي إذا صفت مَلَكَت الجسم الصلصال، فصار طوعاً لها وصارت أخلاقه أخلاق الروح، وتبدلت الأوصاف الحيوانية بأوصاف النفس الملكية فصار الجسم ملكاً بل خيراً من الملائكة لأن ذلك الطين وذاك الحيوان تخلص من الشواغل والملاهي والحجب والموانع والسجون والأغلال والقيود مع توفر الدواعي، واتحدت تلك القوى بالروح حتى صار الإنسان روحانياً، لديها هو خير أم الذي خلق مطبوعاً على الخير

لتجرده من العناصر؟ وكيف لا وهو من النور، فالله يفاخر به ملائكته وكأنه يقول لهم: انظروا إلى هذا الطين والماء المهين الذى جرى مجرى البول مرتين كيف اتصل بالله اتصالاً لا انفصال بعده. مع ذلك لا يرى لنفسه عبادة ولا فضلاً، بل يشهد الفضل لله الذى وفقه للعبادة وفضلاً عن ذلك يرى نفسه مقصراً فى حقه عز وجل، أفهذا خير أم من رأى لنفسه عملاً؟! فقال: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة ٣٠، فأى تسبيح لهم والله خلقهم وما يعملون؟

ولا غرو، فمن شهد لنفسه عملاً فقد شاب اعتقاده وعمله بالشرك والعياذ بالله تعالى، فالله يفاخر الملائكة بعباده وهذا تشريف لهم، وأرسل الملائكة إليهم بالسلام وذاك رسول شريف جاء من عند الملك العلام، وأى شرف أعظم من أن يرسل الله لعبده من يُقرئه السلام، ومن الناس من يشهد الملائكة بعين رأسه، وذلك بنص كتاب الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الأنعام ٧٥، ونحن أتباعه كما قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الحج ٧٨، فله فى أبنائه وارثون ورثوه (العلماء ورثة الأنبياء)، وفضل الله ليس مقصوراً ولا محدوداً فإذا قويت النفس وصارت ملكية صار الجسد ملكياً والجوارح ملكية. فقبل أن ترى العين المادة يسبقها القلب فيرى السر السارى فيها، والصفات الظاهرة والباطنة بها. ولا يخطيء فى حين أن العين تخطيء فيرى الشمس مثلاً صغيرة وهى أكبر من الأرض ألف ألف وثلثائة ألف مرة تقريباً، وترى الإصبع إذا وضع بجانبها أطول من المأذنة، وهذا من خطأ العين، وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز نزول الملائكة فلا بد من أن تنزل فنرى بقلبنا نزولها وإن لم نره بعين البصر رؤية يقينية.

ولا بد أن نقف فى موقف العلم الذى علمنا الله على لسان رسوله ﷺ، فإن العليم هو الله، ومن قال: أنا غنى عن العلم. فقد كفر، قال رسول الله ﷺ: (مجلس علم خير من عبادة سبعين سنة)، فقد يدخل العابد الخلوة ويتعبد السنين الطوال فيأتى إليه إبليس فيصيره أضل منه ويكفره، وذلك نتيجة الجهل، ولو أنه سعى إلى عالم فثبت بالعلم يقينه ثم عبد الله ولو

قليلاً لكان خيراً له، ومن ذلك ما حكى عن السيد عبد القادر الجيلاني أنه بينما كان قائماً لله في جوف الليل، فإذا بالسقف قد ارتفع وغمر بالنور، ونادى منادى: (أى عبدى عبد القادر فقال: لبيك سيدي، فقال: إني أبحث لك المعاصي. فقال: اخساً يا ملعون، فقال: بهم عرفت؟ فقال: إن الله لم يحرم حراماً على لسان نبي ويبيحه على لسان ولي). وقد أحكم الله شريعته على لسان رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة ٣.

ولذا ينبغي لنا أن نتعلم حتى نعلم الله حق العلم، فإن الملائكة كان لها معلم وهو آدم. والعلم خير ما يسعى له قال ﷺ: (اطلب العلم ولو بالصين)، وما ذاك إلا العلم الإلهي الذي ينتج المعرفة بالله، ولا بد أن يكون السعي للعلم فقط لا لغيره، فمن الناس من يأتي إلى العالم العارف لينبئه بما يحدث له، فإذا لم ينبئه تركه مدعياً أنه ليس بولي، وهذا جهل، فإن أسرار الغيب لا ينبغي أن تباح وما قدره الله علينا نراه، فلنقبل على معرفة الله سبحانه وتعالى فإنها خير لنا من الدنيا وما فيها، وما قدره الله لنا من الخير نناله ونحن في راحة مطمئنون، ففي السعي للعلم شرف عظيم، ولذا أرسل الله الملائكة إلى الأرض ليعلمهم أن الله أسراراً في خلقه وحكماً تخفى على كل حكيم، قال تعالى: ﴿الْمَرَأَلُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة ٣٣، وحتى يعلمهم أن قولهم ﴿تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة ٣٠، كان اعتراضاً على حكمة الله وهو أيضاً من حكمة الله إذ أعقبه بعلمهم حكمة الخلافة في الأرض.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لِيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ القدر ٢، استفهم الله عن ليلة القدر تعظيماً لها ليبينها لنا فإنه سبحانه ما قال في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ بصيغة الماضي إلا وفسر، وما جاء بصيغة المضارع (وما يدريك) إلا وأبهم، وذلك ضناً بالغيب، فإن المضارع دال على الحال والاستقبال في حين أن الماضي يدل على ما حصل.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر ٣، ليس فيها ليلة قدر.

﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ القدر، قد يعود الضمير فيها على الملائكة وقد يعود على ليلة القدر - وقيل الروح جبريل - كما قال ﷺ: (إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل) أو هو نوع من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر، أو هو ملك عظيم ينزل في هذه الليلة.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ القدر، وهذا تشريف من الله لهم إذ أنه جعل لهم شبه اختيار فلم يقل (بأمر ربهم) لأن الأمر دال على الجبر والقهر وليزوروا أحبابه. وتشريف لأحبابه أيضا.

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ القدر، وفي قراءة (من كل أمرىء) أى فرد من الملائكة. سلام على المؤمنين، وعلى القراءة الأولى أى أمان من كل ما فيه سوء فيحفظ الله بعنايته من اجتنابهم.

أو ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بكل ما يحدث في هذه السنة.

﴿سَلَامٌ﴾ القدر، أى أمان أو تسليم وقد يكون الوقف عليها والبدء بـ ﴿هِيَ﴾ وقد يكون البدء بـ ﴿سَلَامُ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر، بفتح اللام فى مطلع فتدل على الزمان المعنى إلى طلوع الفجر، وبالكسر للمكان أى يعم أمنها ورحمتها وتسليم الملائكة على المؤمنين فى كل الأرض من المغرب إلى المشرق والله أعلم.

* * *

دعاء ليلة القدر

خير ما يدعو به الإنسان لتفريج الكرب ولوفاء الديون وللنجاة من الخطوب ما ورد بالسند الصحيح عن رسول الله ﷺ من الأدعية علمها رسول الله ﷺ لأفراد من الصحابة كانوا فى شدة وضيق، ففرج الله كربهم ووفى ديونهم وشرح صدورهم ويسر أمورهم:

(اللهم اغنى بحلالك عن حرامك، اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال،

اللهم مالك الملك، تُؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيها من تشاء وتمنعها ممن تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك، اللهم فارح الهم وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أن ترحمني برحمة تغنيني بها عن من سواك، اللهم إني عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك عدل في حكمك ماض في قضائك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري، وانشرح صدري، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي وشكايتي يا الله)



الباب الثامن

زكاة الفطرة وصلاة العيدين

زكاة الفطر

فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة، فعلى أهل كل بلد أن يخرجوا زكاة صومهم صاعاً من الحبوب المأكولة غالباً في بلدهم أو الزبيب أو من التمر أو من اللبن.

صلاة العيدين

سنة مؤكدة، وقتها حل النافلة، والسنة المجمع عليها أن يصلى العيد بدون آذان وإقامة، وهى كالجمعة وتختلف عنها بأن وقتها ضحوة وأن الخطبة بعد الصلاة، وأن خطبتها تفتتح بالتكبير وأن التكبير فى الركعة الأولى سبع تكبيرات بتكبيرة الإحرام، وفى الثانية ست بتكبيرة القيام، والسنة أن تصلى فى الصحراء ما لم يكن مطر، والسنة أن الإمام لا يخرج من بيته إلى الصلاة إلا إذا حلت الصلاة.

والمصلى الأولى له أن يمكث بعد صلاته حتى يسمع الخطبة، ويسن أن يفطر قبل الذهاب إلى المصلى فى عيد الفطر، وبعد الصلاة فى الأضحى.

* * *

مشاهد العيد

جدد العامة فى هذا اليوم ثيابهم، وطهروا أجسامهم، وجدد الخاصة من السالكين نواياهم وطهروا قلوبهم، وجدد خاصة الخاصة من الواصلين تفريدهم حبيهم جل جلاله تفريداً

أنسأهم أطوارهم الكونية فى النشأة الأولى، وتنقلاتهم البرزخية والأخرى فى النشأة الآخرة حتى كأنهم أعيدوا إلى ما كانوا عليه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾ الأنبياء ١٠٤.

وجدد خاصة الخاصة من أهل التمكين رعايتهم لعظمة الله المقدسة حضوراً فى مقام لدن، وغيبه عن كل ما سواه جل جلاله، تجملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَرَوُوا إِلَى اللَّهِ﴾ الذاريات ٥٠.

أما أهل القرب فى القرب، وأهل العيان فى الحب فجددوا العهد الوثيق احتفاءً بنفخة القدس إلى القدوس العلى، تلقى تلك النفخة من الحق بالحق: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ الزمر ١٦، والكل مواجه بكلمات يتلقاها، وهذا هو العيد عند أهل المقامات التى لا يمكن أن تبين بالعبارة أو يرمز إليها بالإشارة.

أما من أحضرهم لديه وأطلعهم به عليه وأحبهم ف جذبهم إليه، فلهم من المواجهات ما لا يباح ولا يلاح إلا لهم عند ربهم، فهم المطهرون من منازعة صفات الربوبية، الذين أقبل الله عليهم بوجهه وأقبل بهم عليه، فكان سمعهم وبصرهم ولسانهم ويدهم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة ١٧، به له فى مظهره ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١. هذا هو العيد عند من ذاقوا حلاوة الإعادة.



من المواجيد الرضائية

للإمام أبي العزائم

قال عليه السلام في مشاهد الصوم:

تغنيت في صومى أغانى تشبيهى
تشبهت في صومى بعالم أولى
أنا من... وفوق الترب هيكلى الدنى
عجبت أرانى صورة لجماله
يظلمنى من نور معنى صفاته
تركت المبانى أشرق الوجه بالضيا
أنا عندها الإشراف أجلى حقيقتى
خفيت ولولا الصوم أثبت رتبتي
جمعت بصومى مشهدين تنازعا
فلا أنا في صومى أنا بتطورى
هو الصوم بالتشبيه يستر رتبتي
وكل الحقائق في صيامى تليح لى
جواذب حب في صيام حقائقى
هو الصيام تشبيه هو الصوم جذبة
فصومى أيا روحى وسوحى تقرباً
ففى الصوم تجلى لى المعانى جلية

ولى في صيامى مشهد التنزيه
تجردت من سفلى وقد كنت في التيه
أفى العالم الأعلى وحالى أخفيه
ورسمى من طين وحسى بيديه
ويظهرنى عبداً به منه يعليه
تركت أنا حتى دنا في تدليه
لعالم أعلى في مقام تجليه
لأحرقت السبحات ما كنت أدريه
لدى السلب والإيجاب والصوم يفنيه
ولكننى المصباح من غير تشبيه
وفي حضرة التنزيه إخفاء تشبيهى
غيوباً بحق العين لا التمويه
وصولة حق والضيا يجليه
إلى الاجتلا والصائم الحق يعطيه
جمال جميل في مقام تدليه
أنل عبدك الحسنى بفضل منك تعليه



وقال ﷺ في مراتب الصوم:

نسيم صفا روحى بنور صيامى
سرى فى العناصر فانتشت من مدامة
أنارت لدى صفوى اللطيفةً بارقاً
شهدت وفوق العرش واللوح فوق ما
ومن أنا بعد المحو والسحق هل أنا
نعم بل أنا الطلسم حولى غيَاهب
أصوم وصومى فوق قدر إشارتى
يخلقنى بعد انمحا ظل عنصرى
فأشهدنى فوق الترابِ ورتبتى
وهيكلى الدانى تحمل بالبها
ومن قبل إيجادى بسور معلمى
هناقف لسانى ترجمن عن لطائفى
وخل مقام الاتحاد فإنه
وأهل مقام الحب فى سير حجة
يحبون آيات صفات ظهورها
مقامات أهل الحب شوق وجذبة
على عن التقيد غب عنك والمظن
فإن العبودة برزخ سرِّ حضرتى
أصوم لأفنى عن وجود ولازم
ألج شعشعانا من حظائرِك التى
أعدنى إلى فتح الوجود قبيل كن
وأشهد بالعينين منك إضاءة
أنل هيكلى الدانى سوابغ نعمة

ونورٌ عبيرِ الكشفِ حال قيامى
بعين بلا كأس ورشف مدامى
من العالم الأعلى برفع لثام
إليه اشتياقى فى شديد غرامى
ظلال لمجلى الذات خل ملامى
لها سجد العالون فى استعصام
صيامٌ به صمدي بغير طعام
بغيب سما عن مدرك الأفهام
أنا العبد فوق العرش فوق رغام
بنفخته من ظل كل غمام
ومن قبل إمدادى عطاء مدامى
ولا تتعدى روضة الإسلام
على وفوق شهود كل غلام
إذا لم ينالوا الحب من علام
بهيكل تحديد وقيد مقام
أعيدوا لقيد فى صوى الأنعام
غياهب غيب الغيب بعد فطام
تجليه والمجلى بنور صيامى
لمرتبة التقييد فى استسلام
بها أنت فى البدء حال ختامى
لأشهد بالتشبيه سرِّ هيامى
بغيب الصفا الذاتى فى استعصام
يدوم بها فى حظوة الإكرام

قال ﷺ في ليلة الفرقان:

أنور التجلى لاح أم نور تبيان
أيا ليلة الفرقان نورك مشرق
ببدر ينادى الفرد مولاه ضارعاً
تنزلت الأملاك والليل أليلاً
وأنزل أمطار السماء كرامة
دعا الفرد مولاه ببدر مرادُهُ
فلباه ذو الطول العظيم بحوله
أناديك يا مولاي بالسر ضارعاً
بفردك مَنْ نادى وَنُجِبَ أئمةٍ
فحصنتهم بالحفظ والنصر والرضى
بجاههم نظراً إلهى يعمنا
أيا سامعاً لدعائنا أعطنا الرضى
أنادى وقلبي موقن بإجابتي
ببدر ومن وقفوا به من أئمة
دعوتك يا مذكور وداً ووسعة
بمن وقفوا لله يبغون فضله
بحمزة سيف الله حيدرة الذى
بمن هاجروا لله أسأل سيدي
تجلى لنا بالحب والقرب ربنا
تنزل لنا بحنانة وعناية
ومنَّ علينا سيدي بعواطف
إلهى فاكرمنا فأنت ولينا
إلهى واحفظنا من الشر كله
وعمم إلهى الفضل يا واسع العطا

وقال ﷺ في ليلة القدر:

إنزال قرآن ذات المنعم البرِّ
للقائمين على المنهاج في السير
أن الظهور ظهور النور للفجر
فوق الذي ترتجى من واسع الخير
رضاه معتقداً في حال مضطراً
عليه يرفع عنك العسر باليسر
يرضيك عنه ويمحو ظلمة الوزر
إغاثة منك وارفع سيدي قدرى
بما تحب من الأخلاق والسير
بالفضل منك إلهي واشرحن صدرى
وفر بي منى في ليلة القدر
علماً يقيناً إلهي يسرن أمرى
خيراً بجاه كرام الخلق في بدر

سبع وعشرون فيها ليلة القدر
فيها تنزل أملاك السما بشرى
قد لاح نور التجلى مُنبئاً قلبي
اضرع إلى الله مضطراً وسل تعط
اخضع أيا قلب فوق التراب مجتدياً
وناج ربك بالإخلاص معتمداً
يريك أنواره تجلى مواجهة
يا من يجيب دعا المضطر أدركنى
في ليلة القدر أنسنى وجملى
وسع لنا الرزق للأولاد أحبابى
فيما تحب أقمنى في الذى ترضى
حتى أعى غيب إنزال القرآن بها
مولاي أسمعنى فيمن أحبهم

وقال ﷺ في مشاهد ليلة القدر:

فشاهدت بعد تلاوتى التبياناً
يضىء قرأت عندها القرآن
أنا الليل يعطى هيكلى الإحسانا
يصير به نوراً يضىء عيان
فشاهد بالإنزال برأ وحنانا
فكان طهوراً ستر الدن والحانا
فلم تشهدن آيا ولا أكوانا

قرأت بألواح الوجود بياناً
رأت عين روحى ليلة القدر لامعاً
وفي ليلة القدر الإشارة أننى
وفيه نعيم إنزال قرآن ذاته
أيا ليلتى والهيكلى السافل ارتقى
تنزلت الأملاك عند نزوله
أدير على الأرواح أخفى رسومها

سرت عندها روى ولى ماغانا
سرت وبها أسرى إليه حنانا
بها الرسم للأعلىن ثم تدانى
وفيك معانى وصفه قد صانا
وأنت ترى الآثار والأدرانا
إلى الله تولى منه ثم أمانا
وسله عطاء فضله غفرانا
إليك فقربنى فعمرى قد حانا

دعاها الفنا صوب البقا فى تنزل
لقد أطلقت روى ورسمى براقها
يذكرنى رسمى الدنى بليلة
أيا رسم فيك الآى سر اجتلائه
ترى غيبك الأرواح فى شكل الدنى
إلى المحظوة الكبرى فسارع موجهاً
تضرع أيا قلبى إلى الله مخبتاً
أيا ظاهراً فى ليلة القدر بالضيا

وقال ﷺ فى حقيقة العيد:

ليقوى بكشفى غيبه إيقانى
أرانى روحاً فى حظائر حنان
لروحي أنس الآله الروحانى
به فى ضيا الأسماء حصن أمانى
حقيقة أسماء بآيات قرآن
تجملنى فى صورة الرحمان
وقد كنت طينا جامع الأركان
تشير إلى الغيب المصون الثانى
لأظهر نوراً فى سما العرفان
على برجها الأعلى بطابع كيوان
تضىء على العالين بالتبيان
لقد كنت فيها قبل ذى الأكوان
عن العالم الأعلى عن الإمكان

أعد بدئى الماضى شهود عيانى
فأنت معيد والإعادة أننى
وفى عودى العيد الذى هو بهجة
يذكرنى بدئى الذى كنت أولاً
وكنت به فى العلم لم يرنى سوى
أعده لتجلى لى المعانى جليلة
أيا عيد يا عيد افتتح حقيقتى
أعادك مبدى العالمين لحكمة
أدر لى عيداً فى انبلاج حقيقتى
أضىء على العالين بالشمس أشرقت
يجمل ناسوتى وروحي بنفخة
يذكرنى عيد الرسوم بحظوة
لدى كنت سرّاً غامضاً عن ملائك

تخصّصنى ثم الإرادة مظهراً
فأظهرنى ربى ليظهر ظاهراً
ظهور عجيب والخفا في غامض
لكنزي طلسم إذا فك أشرفت
يفك لأهل الاصطناع إذا صَفَوْا
غريب يُرى الغيب المصون يلوح في
وما العيد للأفراد إلا إشارة
فدق من إشاراتي غيوباً مصونة
إلى حظوة العالين نفخة قدسه
إلى حيث كان البدء والبدء كَلِمَةً
لديها فأنت الفرد تشرق تهتدى
فعيد بمعنى ما فهمت لتحتسى
لديها ففي الأعلين تشهد ظاهراً

ليظهر جل الله بالإحسان
بأسائه والآى بالديان
وشتان بين الجهر والكتان
معانى صفات الحق كل مكان
قليل نعم هم (آية الغفران)
هياكل طين أشرفت للفانى
تشير إلى غيبٍ عن الأعيان
هو العيد عود من صوى الإنسان
إلى الله من فرد مشوق عان
بكن حيث كان مقدر الإمكان
بأسرارك الأفراد للرضوان
طهوراً سقاها مبدعُ الأكوان
جمال التجلى لاح من تبيّان

تم بحمد الله



الفهرس

| | | |
|----|-------|---|
| ٥ | | مقدمة |
| | | الباب الأول |
| ٧ | | الصيام |
| ٧ | | من معانى الصيام |
| ٨ | | الصائمون |
| ٨ | | صوم رمضان |
| | | الباب الثانى |
| ١٤ | | حكم الصيام |
| ١٦ | | حكمة الصيام الأولى |
| ١٧ | | الحكمة الثانية |
| ١٧ | | الحكمة الثالثة |
| ١٧ | | الحكمة الرابعة |
| ١٧ | | الحكمة الخامسة |
| | | الباب الثالث |
| ١٩ | | مراتب الصوم |
| ١٩ | | ١ - صوم العامة |
| ١٩ | | ٢ - صوم العلماء |
| ١٩ | | ٣ - صوم العارفين بالله |
| ٢٠ | | ٤ - صوم المقربين |
| ٢٠ | | ٥ - صوم المحبوبين |
| ٢١ | | ٦ - صوم الصوفية |
| | | الباب الرابع |
| ٢٣ | | رؤية هلال رمضان |
| ٢٣ | | إثبات الرؤية |
| ٢٣ | | ما ورد فى إثبات رمضان |
| | | الباب الخامس |
| ٢٤ | | ما ورد فى فضل رمضان وفضائل الصوم عند الأئمة |
| ٢٤ | | ما ورد فى فضل رمضان |

٢٤ ما ورد في فضائل الصوم عن الأئمة رضی الله عنهم

الباب السادس

٢٨ سنن الصوم وأركانه

٢٨ سنن الصوم

٢٨ أركان الصوم

٢٩ ما يفطر وما لا يفطر

٢٩ عمارة أوقات رمضان بالطاعات

٢٩ القيام

٣٠ الأوقات التي يجب فيها الدعاء

الباب السابع

٣١ الأيام المرجو فيها الخير

٣١ ليلة القدر

٣٢ فضل ليلة القدر

٣٥ حكمة نزول الملائكة

٣٨ دعاء ليلة القدر

الباب الثامن

٤٠ زكاة الفطر وصلاة العيدين

٤٠ زكاة الفطر

٤٠ صلاة العيدين

٤٠ مشاهد في العيد

من المواجيد الرمضانية

٤٢ في مشاهد الصوم (قصيدة)

٤٣ في مراتب الصوم (قصيدة)

٤٤ في ليلة الفرقان (قصيدة)

٤٥ في ليلة القدر (قصيدة)

٤٥ في مشاهد ليلة القدر (قصيدة)

٤٦ في حقيقة العيد (قصيدة)

٤٨ الفهرس

